شعريّة الرّمز في القصيدة العربيّة المعاصرة –ديوان في القدس لتميم البرغوثي نموذجًا_

The poetics of language in the contemporary poem. Diwan in jerusalem for tamim barghoti as a model .

نغلي خديجة* [1]

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)

k.neghli@univ-chlefe.dz

مخبر نظرية اللغة الوظيفية

الحاج جغدم [2]

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)

djourdemhadj@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/08/31	تاريخ القبول:2023/06/16	تاريخ النشر:2023/12/31

ملخص:

تبحث الشّعريّة عن مكامن وأسرار الجمال الفنّي في النّص الأدبي، فكان أن توكأت على عدة مرتكزات لمكاشفة قوانين العمليّة الإبداعيّة واستنطاقها نحويًّا صرفيًّا تركيبيًّا وإيقاعيًّا. وتميم البرغوثي من أشهر الشّعراء الّذين ذاع صيتهم على الساحة الأدبيّة العربيّة، في الجانب الإبداعي؛ إذ برع في الشّعر فنال من الحظوة الأدبية أيّما منال فخلّف نتاجاً شعريًّا خصباً لما يحويه من أفكار وطروحات ومنه ديوانه "في القدس"، وتتسم أشعاره بالغموض، وتحمل في فحواها إيحاءات تزدان بها كلماته ومفرداته المؤتلقة وتصوراته الفنيّة المؤتنقة، هذا وقد اكتسحت هاته الوسيلة جلّ قصائد ديوان في القدس لتميم البرغوثي، وهو السبب الذي دفعنا إلى محاولة استقرائها ومدارستها لِاستخراج أهم الرّموز الواردة فيها، عبر قراءة تأمليّة تهدف إلى الكشف عن مدى توظيفها وتأثيرها في النّص.

الكلمات المفتاحية: الشّعريّة–الرّمز–تميم البرغوثي–في القدس.

* المؤلف المرسل

Abstract :

Poetry searches for the secrets of artistic beauty in the literary text, so it relied on several foundations to reveal the laws of the creative process and interrogate them grammatically, morphologically, structurally, and rhythmically. Tamim Al-Barghouti is one of the most famous poets who became famous on the Arab literary scene, in the creative aspect; As he excelled in poetry, he attained literary favours, innovate a fertile poetic product for the ideas and propositions it contained, including his collection “fi alquds”, His poems are characterized by ambiguity, and they carry in their content allusions that adorn his words, his sparkling vocabulary and his elegant artistic perceptions. Which is the reason that prompted us to try to extrapolate and study it to extract the most important symbols contained therein, and to reveal the extent of their employment and influence in the text.

Keywords: Poetics - the symbol - Tamim al-Barghouti - fi alquds.

يعد توظيف ظاهرة الترميز بمستوياتها المختلفة والمتفاوتة والمتنوعة في القصيدة العربيّة المعاصرة سمة اشترك على تطبيقها معظم الشعراء منذ القدم، باعتبارها أحد أبرز الظواهر الأسلوبية المعتمدة في الشعر المعاصر، وعنصر من العناصر الجوهرية في بناء النّص الأدبي، هذا وقد سيطر مصطلح الرّمز على لغة القصيدة المعاصرة، حيث غيّر في تراكيبها وفي صورها وبنيتها من خلال تعميق المعاني الشّعريّة، ممّا يسهم في الارتقاء بشعريّة القصيدة وفي تأثيرها على المتلقي والقارئ.

تتماز نصوص الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي الشعريّة الواردة في ديوانه "في القدس"، بلغتها الرمزيّة الخاصّة المستمدّة من قاموس ثقافي واسع، نتيجة اكتساب وتشبّع البرغوثي للعديد من الثقافات، المتعلّقة بتاريخ بلاده فلسطين، وأمّتة العربيّة الإسلاميّة، الأمر الذي ساعده على الانغماس في مختلف القضايا الوطنية السياسويّة، وترجمتها في شكل أشعار تتسم بالغموض، وتحمل في فحواها إيحاءات تزدان بها مفرداته، هذا وقد تشظّت ظاهرة الترميز معاظم أشعاره،ممّا دفعنا إلى محاولة استقرائها ومدارستها لِاستخراج أهم الرّموز الواردة فيها، إذ جاء هذا البحث الموسوم ب: "شعريّة الرّمز في القصيدة العربيّة المعاصر ة –ديوان في القدس لتميم البرغوثي نموذجًا– "، ليتناول أهم الرّموز التي وظّفها الشّاعر في الديوان، عبر قراءة تأمليّة تهدف إلى الكشف عن مدى توظيفها وتأثيرها في النّص، وعليه يمكننا طرح الإشكال القائل: ما الشعرية؟وما الرّمز؟ و هل نجح تميم البرغوثي في توظيفه للرّمز بأنواعه المختلفة؟

وقد اشتملت الدراسة على العناصر التالية:

1/ الشّعريّة المفهوم والمصطلحpoetics.

2/ مفهوم الرّمز.

3/ شعريّة الرّمز في ديوان تميم البرغوثي "في القدس":

وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج المتوصل إليها.

أمّا فيما يخص المنهج المتّبع في الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التّحليلي، من أجل استقراء القصائد وتحليلها وتدعيمها بملاحظات ونتائج عامّة.

ومن بين المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث ديوان في القدس لتميم البرغوثي، ومؤلف حسن ناظم مفاهيم الشّعريّة–دراسة مقارنة في الأصول، ومؤلّف إبراهيم رماني المنهج والمفاهيم والغموض في الشّعر العربي الحديث، ومؤلّف نسيمة بوصلاح تجلي الرّمز في الشّعر الجزائري المعاصر ، ومؤلّف محمّد علي الكندي الرّمز والقناع في الشّعر العربي الحديث ، ومجلّة اللّغة العربيّة وآدابها، وغيرها من المصادر.

1. الشّعريّة المفهوم والمصطلح:

1.1- مفهوم الشّعرية لغة:

من خلال بحثنا في مفهوم الشّعريّة في المعاجم والقواميس وجدنا أنّ معظم الكتب تناولتها بإرجاعها الى كلمة "شعر"، حيث وردت في معجم لسان العرب لابن منظور(ت711ه) بمعنى: "شعر، أي؛ شَعَرَ بِهِ وشعُرَ يَشْعُرُ شِعْرًا وشَعْرًا وشِعْرَةً ومَشْعُورَة وشُعُورًا وشُعُورَةً وشِعْرى ومَشْعوراءَ ومَشْعُورًا(الأخيرة عن اللّحياني)، وليت شِعْري أي ليت علمي، ويقال: شَعَرَ فلان وشَعُرَ يَشْعُرُ شَعْرًا وشِعْرًا، وهو الاسم، وسمي شَاعِرًا لفطنته، وما كان شَاعِرًا، ولقد شَعُرَ، بالضّم، وهو يَشْعُرُ، والمتشاعر: الذّي يتعاطى قول الشِّعْرِ، وشَاعَرَهُ فَشَعَرَهُ يَشْعَرُهُ، بالفتحِ، أي كان أَشْعَرَ منه وغلبه، وشِعْرٌ شَاعِرٌ: جيّد، قال سيبويه: أرادوا به الإشادة والمبالغة، وقيل: هو بمعنى مَشْعُورٍ به، والصّحيح قول سيبويه، وقد قالوا: كلمة شَاعِرَةٌ أي قصيدة....."[1]، نجد أنّ ابن منظور عبّر عن ملفظ شعر بكل مشتقاته، كمّا وصفه بعلم، والظّاهر أنّ هناك إشارة لعلم الشّعريّة القائم بذاته، كما تظهر في قوله كلمة شاعرة أي قصيدة، وهي الجماليّة حسب مفهومنا المعاصر لهذا العلم.

_ كما ورد في معجم المختار من صحاح اللغة من المصدر "ش ع ر" بمعنى الشعر للإنسان وغيره، وجمع الشّعر شعور وأشعار، الواحدة شعْرة.....والشِّعر واحد الأشعار، وجمع الشّاعر، شعراء "[2]، فارتبط الشّعر بالإنسان وغيره من المخلوقات كونه حاسة تستشعرها كل الكائنات الحيّة.

1.2- مفهوم الشّعرية اصطلاحًا:

قد كثرت تسميّاتها اللّغويّة ممّا ولّد فوضى مصطلحيّة عارمة، فراح يعرّفها كل ناقد وأديب، وشاعر وفيلسوف، حسب نظرته الخاصّة وميوله الفكري إذ "هي محاولة وضع نظريّة عامّة ومجردة، ومحايثة للأدب بوصفه فنًا لفظيًّا، إنّها تستنبط القوانين الّتي يتوجّه الخطاب اللّغوي بموجبها وجهة أدبيّة، فهي إذن، تشخيص قوانين الأدبيّة في أي خطاب لغوي وبغض النّظر عن اختلاف اللّغات"[3]، وعليه فإنّ الشّعريّة تهتم باستنطاق القوانين الفنيّة والمعايير الجماليّة في الخطاب.

والّذي يفهم من الكلام السّابق هو أنّ الشّعريّة " تبحث عن قوانين الخطاب الأدبي الشّعري والنّثري، بوصفهما ينطويان على خصائص أدبيّة على حدٍ سواء، فلكي تبلغ الشّعريّة تكاملاً ما لابد من أن تكون شاملة للأدب"[4]، أي أنّها تخضع لقوانين الخطاب الأدبي الشعري والنّثري، فكلّما تميّز النّص الأدبي كلّما اكتسب شعريّة وجماليّة.

2: مفهوم الرّمز:

2.1: مفهوم الرّمز لغة:

نظرًا لأهميّة الرّمز فقد حاول الباحثون القبض على مفهوميته، إذ عرّفه ابن منظور في لسان العرب بأنّه: " تصويت خفي باللّسان كالهمس ويكون بتحريك الشّفتين بكلام غير مفهوم باللّفظ، من غير إبانة بصوت، إنّما هو إشارة بالشّفتين"[5]، أي أنّ ابن منظور ربط مفهوم الرّمز بحركة الشفاه، دون إصدار المتكلّم لصوته، وبرموز مختلفة.

كما جاءت في كتاب أساس البلاغة للزّمخشري بمعنى التغامز، حيث قال الزّمخشري: " دخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا..."[6] ؛ أي أنّه يعتبره صفة مذمومة، فالتغامز على الشّخص من الصفات الغير محبوبة لدى النّاس، والتي نهانا عنها الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلّم.

إذن هناك اتّفاق بين النّقاد على تحديد مفهوم واحد للرّمز، وذلك بإرجاعه إلى الإشارة والإيماء.

2.2- مفهوم الرّمز اصطلاحًا:

تعود بوادر بدايات تناول الرّمز إلى اليونان على يد الفيلسوف "أرسطو aristotle"، وهو أوّل من استخدم التّرميز في كتاباته، ويقول: "الكلمات المنطوقة رموز لحالات النّفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة"[7]، أي أنّ أرسطو يعتبر الرّمز كلام منطوق، وهو بدوره يصنّفه إلى نوعين وهما رموز حالات النّفس ورموز الكلمات المنطوقة.

يعدّ الرّمز عند إبراهيم رماني "لحظة إنتقاليّة من الواقع إلى صورته المجرّدة، وهو الإطار الفنّي الذي يتم فيه الخروج من الإنفعال المباشر إلى محاولة عقلنته وهو تجسيم للإنفعال في قالب جمالي"[8] حيث أنّ

استخدامه يكسب النّص الإبداعي جاذبية وتميزًا، تجعل جمهور المتلقين في حيرة ممّا يلقى عليهم ممّا يدفعهم للإنغماس فيه ومحاوله تفسير المعاني المبطنى والتي تحويها هاته الشفرات.

كما يرى أدونيس الرّمز: "بأنّه اللّغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكوّن في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنّه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالمًا لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر"[9]؛ أي أنّ الرّمز هو اللغة المشفّرة التي يفهمها القارئ، ولا يكتبها المبدع بشكل مباشر وإنّما يقدّمها في ومضة من الغموض.

يقدم كارل غوستاف يونغ carl gustav joung تعريفًا للرّمز ، إذ هو عنده: "وسيلة إدراك ما لا يستطاع التّعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتّعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي، وهو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"[10]، وعليه فإنّ الرّمز يشرح المعاني للأفكار التي لا يمكننا التّعبير عنها بصفة بسيطة وسهلة وموجزة.

ويضيف تيزافيطان تودوروف tzvetane todorov حديثًا حول الرّمز، معتبرًا إيّاه مجازًا، حيث أنّه في نظره : "يشير إلى كل أنواع المجاز حيث يكون للكلمة بالإضافة إلى المعنى المعجمي معنى آخر"[11]، وعليه فإنّ الرّمز عند تودوروف عبارة عن مجاز بأنواعه المختلفة.

ما نرنو التأكيد عليه هو أنّ كل باحث عربي أو غربي قدّم مفهومًا ونظرة خاصّة حول الرّمز ، إلاّ أنّ معظم الآراء أرجعته إلى الإشارة والإيماء، بغض النّظر على بعض الآراء المختلفة كرأي تودوروف في اعتباره مجاز

3: شعريّة الرّمز في ديوان تميم البرغوثي "في القدس":

بناءً على ما سبق يمكننا أن نفصّل في جملة أنواع الرّموز التي وظّفها تميم البرغوثي في ديوانه " في القدس"، إذ أنّنا صادفنا فيها الرّموز التالية:

3.1الرّمز التّاريخي: يعدّ الرّمز التّاريخي نوعًا من أنواع الرّموز التي قام بتوظيفها الأدباء منذ القدم، إذ أنّه يتمثّل في الشّخصيّات والأحداث التّاريخية والأماكن وغيرها من الترميزات، لأنّ"الأحداث التّاريخيّة والشّخصيات ليست مجرد ظواهر كونيّة عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإنّ لها جانب دلالتها والشموليّة الباقية، والقابلة للتجديد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى"[12]، بحيث هناك تواصل أحدثه الرّمز التاريخي بين الماضي والحاضر ، في خلق علاقة مشتركة ومتبادلة بين الزّمنين، لأنّ

الماضي يعتبر مصدر مهم في تشكيل كل ما هو معاصر، أي أنّ الأديب والشّاعر يقوم بصياغة الماضي وفق رؤى وصور معاصرة، ممّا يجعل النّص مفتوحًا أمام القارئ لشرحه وقراءته وتفسيره.

ونحن نتصفّح ديوان في القدس للشّاعر الفلسطيني تميم البرغوثي استوقفتنا بعض الإيحاءات ومن بينها: لفظة القدس:

إنّ عنوان الدّيوان والقصيدة الأولى المتمثّل في عبارة "في القدس" اسم لمدينة في فلسطين وقد استخدمه تميم كشيفرة ليرمز به إلى بلد الطّهر والأنبياء الّتي تحوّلت إلى بلد الخراب والدّماء، بعد أن عثى فيها العدو فسادا.

كما وظّف ملفظة "قهوة" والّتي أوردها تميم بوصفها عنوانًا لقصيدة وهي ترمز للأصالة والعروبة و هي من الطّقوس اليوميّة الّتي تعودنا عليها، إذ عليها تجتمع العائلة، وبها يُكرم الضيف، وقهوة الشّاعر هنا ليست قهوة عاديّة، وإنّما هي تعبير عن السكوت والصّمت الّذي يعم المكان في حضرتها، والرائحة الطيبة الزّكية الّتي تبعثها في النّفوس، لاشك أنّ تميم يقصد بالقهوة هنا تلك الصّفة الّتي تأتي معها تلك السّكينة، والرّاحة النّفسية، هاته الصّفات الّتي يبحث عنها الشّاعر في بلده المسلوب، الباحث عن السلام والحريّة إذن قهوة البرغوثي هي الحريّة بكل معانيها من أمن وسكينة وهدوء، فهو لا يريد رائحة القهوة وإنّما هو يتألم من تعوّد أنفه على رائحة الدّم رائحة الرّصاص والرّشاش والحريق.

يقول تميم في البيت الأوّل من قصيدة" القهوة"[13]

صُبّي لِعَمّكِ يَا نَوَارُ القَهْوَةْ

لاَ تَسْتَحِي مِنْ عَمّكِ التَّارِيخْ

في هاتين البيتين توظيف لرموز شعريّة استند عليها الشّاعر لتلغيم قصيدته وهي "نوار" و"التّاريخ"، فنوار هو اسم فتاة تظهر مستحيّة في هذا التّوظيف، لكنّها توحي بدلالات أخرى، إذ ترمز نوار هنا إلى دولة فلسطين الأبيّة الّتي كانت نوارة الدول في زمن فات، فلسطين بلد الأنبياء والرّسل، تستحي ! نعم تستحي لما وصلت إليه من دنو واحتقار ، واستدمار و استنكار، أيعقل أن يجرى في بلاد الله كل هذا، أمّا التاريخ فهو رمز للمكانة الّتي كانت فيها فلسطين وما آلت إليه من وضع مزري جعلها تستحي.

يكرّر الشّاعر في قصيدة القهوة لفظة التاريخ لمرات عديدة، لأنّه يرمز لتغيرات حدثت في البلاد العربيّة، بعد أن سرقت منها مكانتها التاريخيّة.

كما نجد الشّاعر الفلسطيني تميم البرغوثي يوظّف التاريخ في قصيدته "لا شيء جذريًا" من خلال قوله:[14]

لاَ شَيْءَ جَذْرِيًا

سَتَسْقُطُ المُدُنُ العَالِيَاتْ

وَيُخَفِّتُ المُصَوِّرُ الأَبَدِيُّ الضَوْءَ عَنْ مَبَانِيهَا الشَّاهِقَةْ

ويُضِيئُ الفِئْرَانَ وَأَكْيَاسَ القُمَامَةِ السَوْدَاءَ،

فَتَلْمَعُ، وَكَأَنَّهَا قُبَّةُ البَرلَمَانْ

الشّاعر هنا يقدّم لنا رمز تاريخي من خلال وصفه للبرلمانات العربيّة التي أسكتها الإستعماروالإضطهاد الصهيوني لبلاده فلسطين الأبيّة، وهو بذلك يزرع جرعات من الأمل في شعبه ، إذ قال: "**لاَ شَيْءَ جَذْرِيًا**"، أي لا شيء سيدوم على حاله فدوام الحال من المحال، وهو متفائل بغد جميل يحمل صباحًا مليئًا بالحريّة والإستقلال، وستتضح كل المؤامرات التي خطّط لها الإحتلال الغاشم ما دام الشعب يقاوم ويطالب بحقّه الذي أخذ منه بالغصب.

كما أنّ تميم البرغوثي ينبّه لتاريخ الأمّة العربيّة العريق ويجعله رمزًا للفخر والإعتزاز، وهو بذلك يوقظ الضّمير العربي النّائم، ويشجّعه على إستعادة سيادته ومكانته بين الشّعوب.

3.2/الرّمز الدّيني: يعدّ الرّمز الديني من بين الرّموز الشائعة التي اعتاد على توظيفها الشّعراء، إذ "هو حاضر على مستوى الكلمة المفردة وعلى مستوى الجملة والآية وأحيانًا أخرى يتجاوز ذلك إلى إعادة جو القصص القرآني ضمن السيّاق الذي يخدم البناء الشّكلي والدّلالي التي يرمي إليها كل توظيف"[15]؛ أي أنّه يتمثّل في صياغة السيّاقات الشّعرية بصورة تحمل ضمنها مضان دينية، تزيد المعنى قوّة ووضوحًا.

يزخر ديوان"في القدس" بالعديد من الرموز الدينيّة، منها قول الشّاعرفي قصيده "في القدس":[16]

في القُدْسِ مَدْرَسَةٌ لِمَمْلوكٍ أَتَى مِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ،

بَاعُوهُ بِسُوقِ نِخَاسَة فِي أَصْفَهَانَ

لِتَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ أَتَى حَلَبًا فَخَافَ أَمِيرُهَا مِنْ زُرْقَةٍ فِي عَيْنَيْهِ اليُسْرَى،

فَأَعْطَاهُ لِقَافِلَةٍ أَتَتْ مِصْرًا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ بِضْعَ غَلاَّب المَغُولِ وصَاحِبَ السلطَانْ

يتحدّث تميم في قصيدة "في القدس" عن قصّة سيدنا يوسف عليه السلام، وما فعله به إخوته، وهو رمز عن بلاده فلسطين الّتي كانت في يد العرب وتخلو عنها لليهود الّذين كانت منهم طائفة كبيرة في مصر، فملكوها واستعمروها وعمّروها لتصبح لؤلؤة الشّرق الأوسط، وسلطانة الأمر النّاهي.

ويقول في قصيدة "أنا لي سماء كالسّماء":[17]

وَ أُصْبِحُ آدَمَ الثَّانِي

المقصود بآدم ثانٍ في قصيدة "أنا لي سماء كالسّماء"، هو رمز عن التّغيير، في البلاد، فهو تغيّر شعبها، لأنّ آدم رمز للأبوّة، ومن الأب تأتي الذريّة، وتغيير يصيب شعب فلسطين بموت شعبها، وحلول شعب آخر مكانهم.

3.3 الرّمز الطبيعي: قام الشعراء بتوظيف الطبيعة في أشعارهم، لأنّهم وجدوا فيها راحتهم، حيث لجأوا إليها هروباً من واقعهم المؤلم، لما فيها من جمال رباني مدهش، والرّمز الطّبيعي يتمثّل في "استعمال عناصر الطبيعة بما فيها من شجر، وماء، وجبال، وغيرها، وأتى هذا التّقسيم الإيطالي(أمبيرتو ايكو E-ECOC) بعد تقسيمه للعلامات إلى ثمانية عشر نوعًا"[18]؛ أي أنّ الطّبيعة لعبت دورًا مهمًا في ترجمة الحالات النّفسيّة للشّعراء.

أ/رمزيّة الحيوان:

اتّخذ الشعراء –في قصائدهم– من الحيوان رمزًا للتّعبير عن العديد من المعاني، وقد شاعت هذه الظاهرة في الشعر الفلسطيني بكثرة، إذ إنّ "استخدام رمز الحيوان بأقسامه في الشّعر الفلسطيني كانت ظاهرة لفتت نظر القارئ، والسؤال هنا هو لماذا استخدم الشّاعر الفلسطيني هذا النّوع من الرّمز، وبأيّ هدف استخدم الحيوانات والطيور في أشعاره الرّمزيّة، يمكن القول بأنّ الشّاعر أراد أن يشير إلى طبيعة هذه الحيوانات وطبعها وخصائصها السباعيّة، فكلّ هذه الرّموز تدلّ على طبيعة صاحبها من جانب، ومواصلة الأمور عن مجراها الطّبيعي من جانب آخر"[19]، هو الأمر الّذي شدّ انتباهنا في أشعار تميم البرغوثي الّتي حواها ديوان "في القدس"، لذا سنحاول الإجابة عن الأسئلة الفارطة الذكر:

1:الحمام:

قال الشّاعر في قصيدة "في القدس":[20]

فَتَرَى الحَمَامَ يَطِيرُ يُعْلِنُ دَوْلَةً فِي الرّيحِ بَيْنَ رَصَاصَتَيْنْ

يقوم الشّاعر في هذا البيت بتوظيف الحمام لأنّه يحمل معنى الجمال والسّلام، بألوانه البهيّة وأنواعه المختلفة، وهو أول الطيور التي استأنسها الانسان، واتخذه خليلًا وصاحبًا، كما استخدمه في المواصلات لإرسال الرسائل في مختلف البقاع.

حمام الشّاعر هنا ليس حمامًا عاديًا وإنّما هو رمز عبّر به عن غياب السلم، فالحمام يرمز عادة للسلم، وبما أنّ حمام تميم يطير بين رصاصتين، فإنّه لم يجد الأمان الّذي اعتاد عليه، ليطير بحريّة في الجو.

وقال في قصيده "يا هيبة العرش الخلي من الملوك":[21]

وَعِنَايَةُ الرَّحْمَانِ مَا نَادَى الحَمَامُ عَلَى الحَمَامْ

يقصد الشّاعر في هذا البيت رمزين اثنين فالحمام الأوّل يمثّل رمزًا للسّلام، أمّا الثّاني فأراد به تميم التّعبير عن شعبه، وبما أنّ قضيّة الاستقلال تشغله عبّر عنها بهذا التّشفير.

ينتقل الشاعر بنا وفق رمزيّته التي استنجد فيها بالحمام، من الحديث عن السلام إلى الحديث عن الشعب الطامح للسلام، الشعب الذي يبحث عن حريّته المسلوبة وشخصيته الهاربة، والتي أصبحت حلمه المرجو.

2:الظبي:

وظّف الشّاعر مصطلح الظبي في قصائده، للتعبير به عن عدة معاني يصف بها حال الأمّة العربيّة، وعليه سنذكرها كما وردت في الديوان:

يقول تميم في قصيدة "أنا لي سماء كالسّماء":[22]

فِيهَا نُجُومٌ شَارِدَاتٌ كالظِبَاءْ

وقال في قصيده "يا هيبة العرش الخلي من الملوك":[23]

أَنَا مِنْكُمَا يَا ظَبْيَتَانْ

أَهْلِي ظِبَاءٌ مِنْ حَجَرْ

فِيهَا الصَّلاَبَةُ وَالحَنَانْ

يَا ظَبْيَتَيْنِ مِنَ البَشَرْ

أَنَا مِنْكُمَا يَا ظَبْيَتَانْ

يقول تميم في قصيدة "سفينة نوح":[24]

وَلَكِنَّهَا وَقَفَتْ مِثْلَ ظَبْيٍ بِبَابِ خَبَاءٍ

أُمَّةٌ مِنْ ظِبَاءْ

جاء ملفظ ظبي في العديد من القصائد، حيث ورد في قصيدة "أنا لي سماء كالسّماء" بمعنى الشرود حين شبّه تشتت أبناء شعبه بالظباء الشاردة ،وورد في قصيدة "يا هيبة العرش الخلي من الملوك" بعدّة صيغ منها: ظَبْيَتَانْ، ظِبَاءٌ، ظَبْيَتَيْنِ، ظَبْيٍ، وكأنّه ينوّه بظَبْيَتَانْ، و ظَبْيَتَيْنِ للضفّتين الشّرقيّة والغربيّة، ويقصد بالظِبَاء الأمّة العربية المشتتة، أما المقصود بظَبْي فهو الحاكم الذي بيده الحكم والقرار ويختبئ خلف مبررات لا صحّة فيها، ولا يحرك ساكنًا رغم قدرته على التّغيير، كما ورد في قصيدة "أمر طبيعي" بصيغة ظَبْيَةً، وهو يعني بها أمته العربيّة التي تقف مكتوفة الأيدي أمام تحالف اليهود عليها، وذكر الشاعر في قصيدة "سفينة نوح" الظبي للإشارة إلى أمته المتخاذلة.

يقصد تميم البرغوثي بالظبي في ديوانه الأمّة العربيّة الّتي تقف مكتوفة الأيدي، تتفرّج دمار إخوتها في فلسطين، فهو ترميز يصف تخاذل العرب، واختبائها في بلدانها.

ب/ رمزيّة القمر:

طالما اعتمد الشّعراء على توظيف رمزيّة القمر ، إذ شكّل هذا النوع من الإيحاءات مصدر إلهام عندهم، فتجلّى في أشعارهم، وتركّز في وصف أحوالهم المختلفة، وهذا ما قام به تميم البرغوثي في هذا النموذج من قصائده.

قال الشّاعر في قصيدته "في القدس" :[25]

فِي القُدسِ يَزْدَادُ الهِلَال تَقَوُّسًا مِثْلَ الجَنِينْ

حَدَبًا عَلَى أَشْبَاهِهِ فَوْقَ القِبَابِ

وقال أيضًا: [26]

وَفِي القُدْسِ السَّمَاءُ تَفَرَّقَتْ فِي النَّاسِ تَحْمِينَا وَنَحْمِيهَا

وَنَحْمِلُهَا عَلَى أَكْتَافِنَا حَمْلاً إِذَا جَارَتْ عَلَى أَقْمَارِهَا الأَزْمَانْ

دبج الشّاعر البعض من قصائده الواردة في الديوان بإيحاءات رمزيّة تحمل معاني الحزن والألم والهيبة والخوف والسكون والجمال .....وغيرها من الصفات التي لا يعبّر عنها القمر، فكان أن توكّأ تميم عليها في قصيدته المعنونة ب "في القدس"، وقصيده "يا هيبة العرش الخلي من الملوك".

استخدم الشّاعر رمز القمر للتعبير عن النّور البعيد عن وطنه فلسطين، الّذي اسودّ بظلمة باتت تغطي شعبه، ظلمة القهر والاستدمار، فبات وطن الشّاعر بلا قمر لشدّة حزنه.

ج/ رمزيّة المطر والماء:

يقول الله تعالى في الذكر الحكيم: "**وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْئٍ حَيْ**"[27]، ذكر الله سبحانه وتعالى الماء في القرآن الكريم كثيرًا لما له من أهميّة كبيرة في حياة الإنسان، وهو ما جعل الشّعراء يستخدمونه بوصفه رمزًا عن الحياة، وهنا شفّر به تميم للدّلالة عن الحياة والخير والنّماء في أرض أمّته، والماء في البحر يفصل البلدان عن بعضها وبالتئامه تلتئم الأمّة وتتحد.

يقول الشّاعر في قصيده "الجليل":[28]

خُيُوطٍ مِنَ المَطَرِ المُتَتَالِي، تَرَى أَثَرًا مِنْهُ فِي كُلِّ رُكْنٍ وَرَائِحَةً فِي الهَوَاءْ

أَلَمَّ الحُرُوفَ الّتِي انْتَثَرَتْ لُؤْلُؤًا مِثْلَ أَهْلِي

وَأَحْمِلُهَا مِثْلَمَا يُحْمَلُ المَاءَ فِي الكَفِّ

أَجْهَدُ أَنْ أَحْفَظَ المَاءَ حَتَّى خِتَامَ القَصِيدةِ

وقال في قصيدة "أنا لي سماء كالسّماء":[29]

وَتَوَافُقِ الضِّدَّيْنِ مِن نَارٍ وَمَاء

جاء ذكر كلمة المطر وكلمة الماء في معضم قصيدة "الجليل" عندما تحدّث الشّاعر عن المطر في قوله **خُيُوطٍ مِنَ المَطَرِ المُتَتَالِي،** وحديثه عن الماء في قوله: **وَأَحْمِلُهَا مِثْلَمَا يُحْمَلُ المَاءَ فِي الكَفِّ، أَجْهَدُ**

أَنْ أَحْفَظَ المَاءَ حَتَّى خِتَامَ القَصِيدةِ، وهو ترميز يقصد به الخيرات التي تزخر بها بلاده، فالمطر يرمز للخير والنماء ويرمز للخصب والنبات.[30]

كما جاء ذكر المطر والماء في قصيدة "أنا لي سماء كالسّماء"، من خلال قوله: **وَتَوَافُقِ الضِّدَّيْنِ مِن نَارٍ وَمَاء، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا حَنَانَكِ أَمْطِرِي**، وهو يقصد بالنّار نار الحرب والماء يرمز للحرية التي يريدها الشّاعر، ويقصد بقوله حنانك أمطري طلبه للحرية والاستقلال.

4. خاتمة:

لقد أفرزت هذه الدراسة مجموعة من النتائج، سنحاول إختصارها في النّقاط التالية:

_إنّ الرّمز تقنيّة من التقنيّات الفنيّة الجماليّة التي تبنّاها الشّعراء منذ القدم ومازالت تستخدم من طرفهم (الشعراء) في الوقت المعاصر، كونها تعبّر أكثر من التصريح وتأثّر في المتلقي بشكل كبير .

_ الفيلسوف اليوناني "أرسطو"هو أوّل من استخدم الرمز في كتاباته، إذ أسهم في التأصيل لمفهوم الرّمز.

_تكمن شعريّة الرّمز في إشغال ذهن المتلقي من خلال البحث والتنقيب عن المعاني المخبأة خلف الأفكار المطروحة، والتي تجعل النّص الشعري منفردًا عن غيره من النّصوص، فالرّمز يساعد القارئ على فهم القصيدة فهمًا صحيحًا.

_قام الشّاعر الفلسطيني "تميم البرغوثي" في ديوانه"في القدس"، بتوظيف الرمز بأنواعه المختلفة من رمز تاريخي، رمز طبيعي، ورمز ديني، وقد أعطى للرّمز الطبيعي حيّزًا كبيرًا، إذ لعبت الطبيعة دورًا مهمًا في تصوير معاني القصيدة.

_حفل ديوان "في القدس" لتميم البرغوثي بأنواع شتى من الرّموز، ما زاده رونقًا وجمالاً، ووضوحًا، إذ تفنّن فيها الشاعر في وصف مشاعره وتوصيل رسالته لجمهور القرّاء بطريقة مشفّرة تحكي واقع سياسي مرير.

_ هذا فيما يخص النتائج التي توصّلنا إليها ، ويبقى باب البحث مفتوحًا لمواصلة البحث وإستكمال ما لم يكتمل.

5. الهوامش

[1] . ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير/ محمّد أحمد حسب الله/ هاشم محمّد الشّاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1119،ص: 2273، 2274.

[2] . محمّد محي الدّين عبد الحميد/ محمّد عبد اللّطيف السّبكي، المختار من صحاح اللّغة، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، مصر، ص: 269.

[3] . حسن ناظم، مفاهيم الشّعريّة–دراسة مقارنة في الأصول، والمنهج والمفاهيم– المركز الثّقافي العربي، لبنان ،ط: 1994،1، ص: 9.

[4] . م: ن، ص: 83.

[5] . ابن منظور، لسان العرب، مادّة رمز، دار المعارف، ط: جديدة، القاهرة، مج: 3، ج: 17، ص:1727

[6] . الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد عيون السّود، ط:1 ، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1998، ج:1 ، ص:385

[7] . دانا عبد اللطيف حمودة، شعريّة النّثر–طوق الحمامة نموذجًا، دار زهدي للنّشر والتّوزيع، ط: 1، الأردن، 2016، ص: 73.

[8] . إبراهيم رماني، أوراق في النّقد الأدبي، دار الشّهاب، باتنة، ط: 1، 1956، ص: 167.

[9] . مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبيّة في لغة الشعر العربي الحديث، مطابع رواي، الإسكندريّة، د: ط، د: ت، ص: 71

[10] . شايف عكاشة، مقدّمة في نظريّة الأدب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د: ط، د: ت، ج: 2، ص: 85

[11] . الولي محمّد، الصورة الشّعريّة في الخطاب البلاغي والنّقدي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط: 1، 1990، ص: 192

[12] . علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثيّة في الشّعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2006، ص: 120

[13] . تميم البرغوثي، ديوان في القدس، دار الشروق، مصر، ط: 2، 2015، ص: 63

[14] . م.ن، ص: 49

[15] . عبد السلام المسّاوي، البنيات الدالّة في شعر أمل دنقل، د: ط، 1987، ص: 538

[16] . تميم البرغوثي، ديوان في القدس، دار الشروق، مصر، ط: 2، 2015، ص: 10

[17] . م.ن، ص: 24

[18] . نسيمة بوصلاح، تجلي الرّمز في الشّعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، 2000، ص: 12

[19] .صادق فتحي دهكري وروشنك جعفري، رمز الطيور والحيوانات في الشعر الفلسطيني المقاوم، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد:الرابع،2004، ص: 68

[20] . تميم البرغوثي، ديوان في القدس، دار الشروق، مصر، ط: 2، 2015، ص: 11

[21] . م.ن، ص: 35

[22] . م.ن، ص: 21

[23] . م.ن، ص: 29

[24] . م.ن، ص: 67

[25] . م.ن، ص: 9

[26] . م.ن، ص: 9

[27] . القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، سورة الأنبياء، الآية 30، ص: 324

[28] . تميم البرغوثي، ديوان في القدس، دار الشروق، مصر، ط: 2، 2015، ص: 18

[29] . م.ن، ص: 21

[30] . م.ن.، ص: 13

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير/ محمّد أحمد حسب الله/ هاشم محمّد الشّاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1119.
2. محمّد محي الدّين عبد الحميد/ محمّد عبد اللّطيف السّبكي، المختار من صحاح اللّغة، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، مصر.
3. حسن ناظم، مفاهيم الشّعريّة–دراسة مقارنة في الأصول، والمنهج والمفاهيم– المركز الثّقافي العربي، لبنان ،ط: 1 ،1994.
4. ابن منظور، لسان العرب، مادّة رمز، دار المعارف، ط: جديدة، القاهرة، مج: 3، ج: 17.
5. الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد عيون السّود، ط:1 ، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1998، ج:1 .
6. دانا عبد اللطيف حمودة، شعريّة النّثر–طوق الحمامة نموذجًا، دار زهدي للنّشر والتّوزيع، ط: 1، الأردن، 2016.
7. مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبيّة في لغة الشعر العربي الحديث، مطابع رواي، الإسكندريّة، د: ط، د: ت.
8. شايف عكاشة، مقدّمة في نظريّة الأدب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د: ط، د: ت، ج: 2.
9. الولي محمّد، الصورة الشّعريّة في الخطاب البلاغي والنّقدي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط: 1، 1990.
10. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثيّة في الشّعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2006.
11. تميم البرغوثي، ديوان في القدس، دار الشّروق، مصر، ط: 2، 2015.
12. الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد عيون السّود، ط:1 ، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1998، ج:1 .
13. إبراهيم رماني، أوراق في النّقد الأدبي، دار الشّهاب، باتنة، ط: 1، 1956.
14. عبد السلام المسّاوي، البنيات الدالّة في شعر أمل دنقل، د: ط، 1987.

15. نسيمة بوصلاح، تجلي الرّمز في الشّعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، 2000،.
16. صادق فتحي دهكري وروشنك جعفري، رمز الطيور والحيوانات في الشّعر الفلسطيني المقاوم، مجلّة: اللّغة العربيّة وآدابها، العدد: الرابع، 2004.